

## كيف نوحّد شعبنا ؟

عندما نتكلم عن كلمة "شعبنا" فإننا نقصد المجموعات السكانية التي هي تحت التسميات التالية: الكلدانية .. السريانية .. الآثورية. ثلاث تسميات انضوت تحت لوائها الألوف الكثيرة الذين ينحدرون من الارث الحضاري لآشور ونبوخذنصر ونيوى العظيمة، هذا الشعب الذي يؤمن بالمسيحية غالبا، فهو متمزق تحت هذه التسميات المتنوعة، وكلما أردنا أن نحدث إنشقاقا في أي لقاء لهم أو اجتماع، فإننا نستطيع ذلك بوضع الاسم الموحد موضوعا لبساط البحث، عندها يبدأ الانشقاق وتبتعد الآراء ويصل الخلاف لحد لا يطاق ونصبح نحن المنحدرين من أصل واحد وكأنا أعداء بعضنا لبعض. ويصل أحيانا بنا الأمر إلى النيل من أخوتنا في التسميات الأخرى، بينما نجد في ما بين أخوتنا المثقفين ورغم ذلك من هم متعصبون لهذه الجهة أو تلك، والأمر واضح للعيان خاصة لو تصفحنا مواقع الانترنت التي تنشر المقالات لابناء شعبنا وتسلم الردود عليها، وموقع **عينكاوا** خير مثال على ذلك، حيث نجد الردود العجيبة والغريبة، وكأنا أعداء أو نحاول تصغير هذه الجهة أو تلك، أو إعطاء هذه حجما أكبر من حجمها من باب التفاخر لا لشيء إلا عملا بالمثل الشعبي القائل (**كَلْمَنْ يَحُودُ أَلنَّارَ لَغَرِصْتَه**) ، أو نكاية بالآخرين أو لعدم احترام هذه الجهة أو تلك، وقد يبدو الأمر أن الانحياز لاسم معين هو جريمة، أو الانضواء تحت الاسم الآخر هو عمالة!!

وفي هذا الجانب يجب أن لا نجعل من الكنيسة طرفا رئيسيا، مع أهمية هذا الدور في التأثير على أبناء شعبنا وتحديد مساراتهم القومية والسياسية، لأن شعبنا مؤمن، يسمع لرؤسائه الروحيين ويطيعهم، لكن ليس من الطبيعي أن تتدخل الكنيسة في هذا المجال، فالمعروف عند الجميع المقولة الشائعة التي مفادها: **الدين لله والوطن للجميع** ، ولذلك فإن المسؤولية المباشرة على من يعمل في هذا المجال القومي؛ هي على المفكرين وعلى المثقفين، كما هي مسؤولية الأحزاب السياسية. هؤلاء يجب أن يعوا دورهم المباشر ويعملون لجمع لم الشعب وتضميد جراحاته، تلك التي عانى منها لعقود كثيرة من السنين. فكما للقيادة الدينية أهمية، كذلك للقيادة السياسية أهمية كبيرة أيضا. وكذلك للفكر القومي ونشره بين أبناء شعبنا أهمية كبرى يجب علينا نحن مثقفوا الأمة أن ننشره وأن نتقف الآخرين به. وذلك باتجاه تقريب وجهات النظر، وتقليل الخلافات كلما وجدت.

وهنا قد نجد اختلافا بالرأي بين المثقف ذو التوجه الديني والآخر ذو التوجه القومي. ويجب أن نعي أن توحيد شعبنا لا يعني توحيد دينيا، تحت لواء هذا المذهب الديني أو ذلك، فعلى أن نحترم انتمائنا المذهبية ونؤدي واجباتنا الدينية لكن في الجانب الآخر أن نعمل على تقوية انتمائنا القومي.

من المهم جدا أن نخلق لدى أبناء شعبنا روح الزهو والتفاخر بأصوله القومية، خاصة وأن تاريخ شعبنا هو تاريخ عظيم ومشرف، وبما أنني لست من المتضلعين في التاريخ ولست ملما بالكثير من تفاصيله بالقدر الذي يمكنني أن أعطي جوابا قاطعا عن أصل هذه التسمية أو تلك، وقد نجد بيننا من هو على اطلاع واسع في هذا

الجانب. لكني وبمعلوماتي البسيطة عن هذا التاريخ، أستطيع القول أن معظم أبناء شعبنا منحدرين من منطقة نينوى أو شمالها في منطقة دهوك (نوهذرا)، وفي هذه المناطق كانت الدولة الآشورية هي الحاكمة. هذا من جانب، ومن جانب آخر لو عدنا إلى الكتاب المقدس نجد أنه يذكر نينوى العظيمة وشعبنا الآشوري، كما أنه يذكر عن أبينا إبراهيم أنه وُلد في (أور الكلدانيين)، ومدينة أور موقعها محدد على خارطة العراق، إنه قرب مدينة الناصرية. فهل أن جانبنا من شعبنا منحدر من هذه المنطقة؟ وبذلك يكون أهلا لكي يحمل تسمية الكلدانيين، أو هل نستطيع إيصال أنسابنا نحو الأجداد من الكلدانيين؟ في هذا المجال أترك الموضوع للمتخصصين في التاريخ. لكن في هذا البحث المقترض، أحاول أن أقترح الحلول لكي أجمع شمل أبناء شعبي، فإنني أفخر بالجميع، كما أفخر بكوني كلداني المذهب ويُسرفني كثيرا أن يكون بجانب أخي الآشوري أو السرياني، إنني أشعر بضغفي الشديد عندما أفكر بكون الآخرين بعيدين عني، وأسقل بتسميتي الكلدانية. وبالعكس أشعر بالقوة وأز هو فخرا عندما أكنى باسم يجمعني مع باقي تسميات شعبنا، وأفكر بأن جميع أخوتي من التسميات المختلفة هم معي ونحن جميعا يدا واحدة، لا يفرقنا أحد.

لكن كيف نستطيع تحويل هذه الأفكار من الأحلام إلى الحقيقة، خاصة كما ذكرنا في مستهل هذا البحث أن التسمية الموحدة عند بحثنا إياها تؤدي إلى اضطراب المشاعر والأحاسيس وتشنت المجتمعين ونخرج صفر اليدين.

### لكن أنبقى متفرقين وكل أسير تسميته؟

لنفكر قليلا أن الاتحاد دائما فيه قوة ومنفعة لنا ولأبنائنا من بعدنا، فلو لم نستطع في وقتنا الحالي أن نجمع شعبنا تحت اسم واحد، خاصة لوجود صعوبات كثيرة وحقيقية، منها كون شعبنا قد خرج لتوه كما غيره من الشعوب من تسلط رهيب ومن قوة هائلة كانت جائئة على صدور أبناء لعقود طويلة، مدعومة بفكر، عمل المستحيل لسلب هويته وإرادته وحتى الاسم، ومحو كل التاريخ، لا بل كتابته بالاسلوب الذي يخلو له وكلنا يتذكر عملية إعادة كتابة التاريخ !!

إنها حقا مهزلة؛ فكيف نعيد كتابة تاريخ مضي وقت طويل عليه ونقله مؤرخون شتى ودون في مجلدات عديدة، والمراقب المحايد ممكن أن يرصد ويُسَخَص ما كتبه المؤرخون ومن كان منهم منحازا أو من منهم هو نزيه، لكي من كل ما كتب نستطيع إيجاد المسار الصحيح للأحداث ونحاول تشخيص مكان الغث منه وموضع السمين والنزيه، ونترك جانبنا ما هو مزيفٌ للأحداث.

ففي خضم كل هذه الأحداث يبدو من المنطقي أن لا يكون تفكيرنا صافيا أو يتأثر بهذا الفكر الديكتاتوري أو الشوفيني العنصري، ففي هذه المرحلة نستطيع القول أن شعبنا يخوض مخاض صعب أو هو في مرحلة نقاهة، وقد يتأثر بأفكار هذه الجهة أو تلك من شعبنا أو الشعوب الأخرى.

فمن الطبيعي أن نجد أحد أخوتنا يعمل مع هذا الجانب العربي أو الكردي أو الشيعي أو ... ولا يعمل مع أخوته لصالح شعبنا ضمن أحزابنا القومية الكثيرة، وهذه قد تكون مسألة طبيعية، لكنها تكون خطيرة عندما يكون هذا الأخ يعمل مع أولئك ويخدم مصالحهم وتوجهاتهم المستقبلية !!

أحِبُّ أن يعي الجميع: لا بد أن يكون لشعبنا موضعا تحت الشمس، وخاصة له موقعٌ تاريخيٌ وطبيعيٌ في أرض ما بين النهرين (العراق)، وكما حاول البعض ليكون لهم ملاذ آمن، فما الضير ليكون لنا موقعا على أرضنا التاريخية يكون آمنا لأبناء شعبنا؟

نقطة يجب أن ينتبه لها أبناء شعبنا، أليس من الطبيعي أن يكون موقعنا في نينوى على أقل تقدير، إن لم يكن معها منطقة دهوك ومناطق أخرى تشهد لحد اليوم كثافة سكانية من أبناء شعبنا بمختلف ألوانهم، وتسمية هذا الموقع ليست مهمة، فقد تكون سهل نينوى، أو إقليم آشور أو أية تسمية أخرى تجمع هذا الشعب وتحتويه لكي يقرر مصيره عليها دون أي ضغوطات أو قهر، وهذا لا يعني أبدا العمل للانفصال من العراق، بل العمل مع باقي العراقيين ضمن العراق الكبير، والعمل بخصوصيتنا ضمن بقعتنا الصغيرة بحرية وبهدف الوصول إلى الغد الأفضل. وتمهيدا للوصول إلى ما يُفرح أبناء شعبنا علينا إيجاد مؤسسات مشتركة تجمع أبناء الشعب الواحد، ولتحقيق هذا أطرح هنا مقترحا لواحد من هذه المؤسسات والذي باعتقادي هو الأهم ينضوي تحت لواءه (الكلدان .. الأثوريون .. السريان) وهنا أقصد إنشاء جمعية وطنية (برلمان) موحد لشعبنا بمختلف مذاهبه. ولتحقيق هذا يمكننا العمل بحصر أبناء شعبنا من خلال تعداد سكاني على المستوى العالمي، في دول المهجر وداخل العراق، وتحديد نسبة كل فرع من فروع هذا الشعب، ثم إصدار التعليمات للترشيح لمقاعد هذه الجمعية ليتم انتخاب مجموعة من أبناء شعبنا، حيث يتم تحديد مقاعد هذه الجمعية حسب حجم التعداد وقد تكون ( 100 أو 200 ). ويكون لهذه المجموعة التي ستمثل شعبنا الحق بقيادة هذا الشعب سياسيا وقوميا .

وتكون هذه الجمعية أرضا خصبة لانضاج الأفكار بجميع مجالات الحياة ومنها التسمية الموحدة، وكذلك تكون الأحزاب السياسية والقومية حتما ممثلة فيها، لأن الترشيح يكون مفتوحا للجميع، لتكون هذه الجمعية هي المرجع الأخير لكل لكي ينالوا شرعية التمثيل لهذا الشعب، الأمر الذي يبعدها عن التشتت، كما حصل في انتخابات العراق في 30 كانون الثاني 2005، حيث تشتت أبناء شعبنا في قوائم متفرقة وتشتت الأصوات ويصبح نصيبنا من الجمعية الوطنية العراقية قليلا وذو تأثير بسيط إن لم يكن معدوما.

ومن هذه الجمعية ممكن أن تتفرع تنظيمات متعددة منها للطلبة ، ومنها للمهندسين والأطباء والمرأة وفي كل مجالات الحياة حتى الرياضة والفن، هذه التنظيمات تجعل أبناء شعبنا يعملون جنبا إلى جنب وتخلق مناخات جديدة هي التي من شأنها أن تُنضج مسألة الاسم الموحد بعد فترة ليست طويلة. وبهذا العمل سنثبت لجميع شعوب العالم أننا شعب حضاري و مثقف، يسمو فوق الخلافات، وقادرٌ على وضع الحلول لمشكلاته، يحترم أحده الآخر، كما يحترم الشعوب الأخرى ويتفاعل معها بإيجابية. أرجو أن تصل هذه الفكرة لجميع أبناء شعبنا لكي نعمل معا بقلب واحد متسامين فوق الخلافات، لكي نكون أهلا لخلافة أجدادنا العظام.

أخوكم: عبدالله هرمز ججو النوفلي

رئيس ديوان أوقاف المسيحيين والديانات الأخرى

12 شباط 2005